الحاكم نتيجة ممارسة هذا الارهاب الذي لا يسمح بالاجتهاد او بالتهديد بالارهاب مستثنيا قدرة المجتمع والسلطة والاجهزة على ان تكون مسلحة بالاحتمالات المختلفة السلبية والايجابية التي تترتب على اتخاذ قرار ما . وهذا ما جرى بالفعل بالنسبة لكثير من القرارات العربية السابقة لهزيمة حزيران والتي لم تنطو على كل الاحتمالات والبدائل والمعلومات المتوفرة بالنظر الى تغييب هذه المعلومات عن السلطة قصدا لان السلطات القيادية المقررة كانت تثبط اية محاولة لطرح هذه المعلومات والنظريات . لقد كانت القرارات منقوصة لان المشاركة في صياغتها كانت ناقصة ايضا .

هذا النفاذ الفلسطيني الى مسألة غياب الديمقراطية الحقيقية والى سيادة مناخ الارهاب الفكري والسياسي على الحكم العربي بقطاعيه المحافظ الرجعي والتقدمي الوطني ، جعل الفلسطينيين يدركون ان المعادلة النظرية السابقة القائلة بضرورة التنظيم على المستوى القومي كانت تعاني من فقدان الاصرار على الديمقراطية الحقيقية مما افقد هذه النظرية فعاليتها وقوتها . ان القوة الحقيقية للسلطة ليست فيما تنطوي عليه من قدرة على ممارسة القهر ، بل بمقدار ما تنطوي عليه من معرفة . ان السلطة الثورية هي سلطة المعرفة الدقيقة . وهكذا يمكننا القول بأن عدم التوجه للالتزام بالديمقراطية الثورية في العمل القومي السابق كان من السلبيات الرئيسية التي ادت الى الهزيمة . والا فكيف نفسر ظاهرة ارتباك او انهيار المجتمعات القومية التي تبدو متماسكة امام الازمات الحادة ؟ وكيف نفسر المعادلة التي كانت تقوم على ان الظهور بمظهر القوة وشمول السلطة يجب ان ينفي وجود اية مشاكل اساسية في المجتمع لكنه ما ان يصطدم بأزمة حادة حتى تبدأ مؤسساته في الانهيار ؟ وبالمقابل ، وحيث تتوفر المناهج الديمقراطية الفعلية نجد المشاكل والأزمات تطفو على سطح المجتمع انطلاقا من القناعة باهمية المشاركة الجماهيرية في التصدي للازمات، فالمجتمع قوي بمقدار ما يطرح مشاكله للبحث علانية وضعيف بمقدار ما يخفيها . المجتمع قوي بمقدار ما يوحي بادراك الصعوبات التي تقف امام آماله ، وضعيف بمقدار ما يعتقد أن ترديد الاماني هو تعويض عن معالجة المشاكل. لذلك فان الثورات العربية ، وفق هذا المعيار الاكبر للثورية ، هي انتفاضات متقطعة اكثر مما هي ثورات متواصلة رغم اهمية التحولات الاساسية والانجازات الهامة التي حققتها في مجتمعاتها ، لكن تسميتها بالثورات كان اكبر من انجازها . وعندما تصبح التسمية اكبر من الانجاز تتولد لدى الجماهير الامال المغلوطة. وحين لا تتحقق هذه الامال او اكثرها ، ترتد الجماهير عن التزاماتها وتصاب بالشلل . فالجماهير ، بحسها الثوري الاصيل ، تكون اكثر ثقة بقياداتها اذا كانت قياداتها اكثر ثقة بها . اما الذي كان في الساحة العربية فغير ذلك . لقد كان وهج العلاقة بين القيادات والجماهير اشد من الثقة بينهما ، والوهج يولد فورات اكثر انتشارا وقدرة على انبهار الجماهير ، بينما تتطلب الثقة مؤسسات للمحاسبة المستمرة . لم يكن هناك مؤسسات جادة للمحاسبة حتى لدى اكثر القيادات ارتباطا بقضايا الجماهير .

وهكذا ، واذا كان للردة الاقليمية عند الشعب الفلسطيني وجه سلبي ، الا انها كانت ردة مرحلية انطوت ، ولو بشكل غير مقصود ، على الابتعاد عن عدم احترام الديمقراطية والاصرار على ضرورة تامين المشاركة المتواصلة . من هنا ، ورغم انتقادنا المرير ، لكن المتفهم ، للنزعة الاقليمية التي نشأت في الفترة ما بين ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، يمكن ان ندرك بعض الفوائد الايجابية لهذه النزعة من حيث انها ادركت حاجتها لا لتعزيز قوتها الذاتية فحسب بل ولتقوية مؤسساتها الخاصة التي اتسمت بنزعة ملحة لاحترام الموضوعية العلمية واحترام التفاصيل ودراسة كل البدائل قبل الوصول الى قرار ما . كان هذا التوجه لتعزيز مراكز الابحاث والتخطيط والدراسات من قبل الطلائع الفلسطينية المثقفة والملتزمة ، بمثابة تصحيح لما افتقدته الاحزاب القومية الثورية والحركات القومية